تلك النظم بالحفاظ على كياناتها الاقليمية الضيقة وبالحصول على «استقلالها»، توجه اليها عرب فلسطين يطلبون دعمها ضد المشروع الصهيوني الذي يستشري فوق ارض بلادهم دون جدوى حقيقية.

وفي الوقت الذي سارعت الحركة الصهيونية الى اعلان قيام دولة اسرائيل، يوم انهاء الانتداب البريطاني على فلسطين (١٥ أيار ـ مايو ١٩٤٨)، بعد ان هيأت أجهزتها الادارية وقوتها العسكرية، وبعد أن ضمنت التنسيق الكامل مع القوى الدولية المسيطرة (بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي)، فان الامر على الجانب العربي كان على النقيض تماماً. حقاً، لقد شرعت «الهيئة العربية العليا لفلسطين»، منذ أوائل العام ١٩٤٧، في وضع الاسس اللازمة لانشاء حكومة فلسطينية عربية في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، بعد انتهاء الانتداب، ولكن الظروف الموضوعية، على الصعيد الفلسطيني، والعربي، والدولي، كانت أبعد ما تكون عن ان تجعل تحقيق ذلك أمراً ممكناً.

وتظهر وقائع السنوات من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٠ كيف اعتمدت القوى الوطنية الفلسطينية على الانظمة العربية، خاصة من خلال جامعة الدول العربية، ثم من خلال التدخل العسكري في فلسطين، لاستعادة فلسطين. وكيف ان هذه الانظمة، لعجزها وخضوعها للقوى الكبرى، ما كان يمكن ان تقدم هذا الدعم.

وفي حين مكنت هذه الظروف ـ بما فيها الموافقة الصهيونية ـ من ضم ما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية) إلى الأردن على اساس انه «لو لم تضم للأردن، فان اسرائيل كانت ستستولي عليها» ـ على حد تعبير الشيخ الجعبري تعليقاً على مؤتمر أريحا في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ ـ [٥]، فان تلك الظروف عينها هي التي حالت دون تحول اعلان حكومة عموم فلسطين في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ الى واقع فعلي بأي وجه. ورفضت هيئة الامم المتحدة اعتبار تلك الحكومة حكومة رسمية جديرة بالاعتراف الدولي؛ كما كان للضغط البريطاني على الدول العربية الاثر الاكبر في انحسار دورها العربي، فضلاً عما مثلته هذه الحكومة ـ وفقاً لمقررات المجلس الوطني الفلسطيني الأول في غزة العام ١٩٤٨ ـ من عامل سياسي معاد لبريطانيا واسرائيل، يحرج الانظمة العربية امام البريطانيين وأمام القوى الوطنية العربية[٦].

عامل تكريس الدولة

على أن تحليل العلاقة بين النظم العربية والكيان الصهيوني لا ينطلق، فقط، من تحليل نشأة تلك النظم في سياق ظروف نشأة «الدولة في العالم الثالث، وحدود فاعليتها ازاء القوى الامبريالية، وانما ينطلق، أيضاً، من تحليل طبيعة المرحلة التاريخية التي كانت تمر بها الدول العربية الحديثة، عند مواجهتها للتحدي الصهيوني. فتبلور هذا التحدي في شكل «كيان» يسعى لاكتساب شرعية «الدولة» انما تم، في الواقع، في ذات الوقت الذي كانت تتشكل ايضاً الدول العربية المعاصرة، حيث كانت الدول العربية العام ١٩٤٨ إما دولاً حديثة الاستقلال أو لم تحصل على استقلالها بعد، أي انها كانت في مرحلة «نشأة» وتكوّن واثبات للذات، ولذلك، وفي حين كان التحدي العربي عنصر دمج وانصهار للكيان الصهيوني المصطنع، فان التحدي الصهيوني لم يكن، في الواقع، عنصر دمج وانصهار حقيقي للكيانات العربية الوليدة